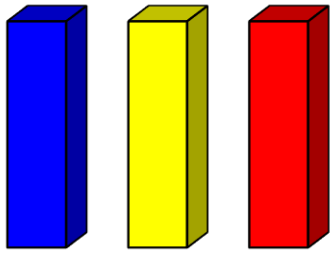

الأعمدة الثلاثة

قِوام طالب العلم

عبدالله محمد الموسى

بسم الله الرحمن الرحيم

الأعمدة الثلاثة - قِوام طالب العلم

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأزكى التسليم على النور الساطع والضياء اللامع رحمة الله للعالمين وخير الأنبياء والمرسلين، العبد المؤيد والرسول المسدد المحمود الأحمد أبي القاسم محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم والعذاب الأليم على أعدائهم ومنكريهم ومنكري فضائلهم من الآن إلى قيام يوم الدين.. وبعد

فإنه قد التمس منا بعض المؤمنين أن نكتب أو نقرر ما ذكرناه من كلام سابق حول المفهوم الدقيق والمعنى الصحيح لطالب العلم الحقيقي، فإننا قد ذكرنا ذلك من خلال ما استفدناه من علمائنا

الأجلاء وأساتذتنا الفضلاء مشافهة وما وصلنا من المدون من كتب أسلافنا العلماء الأبرار أن قوام طالب العلم ثلاثة أعمدة:

- العمود الأول عمود العلم.
- العمود الثاني عمود العمل.
- العمود الثالث عمود العقل.

❖ العمود الأول: عمود العلم:

أما عمود العلم، فهو أن يكون طالب العلم متقنًا لما دَرَسَه في الحوزة العلمية من دروس، سواءً دَرَسَ المقدمات أو السطوح أو البحث الخارج، وكيف كان ليس المهم أن يكون حافظًا بالدقة للمطالب الحوزوية التي دَرَسَها عن ظهر قلب، ولكن يكون مالكًا لمَلَكَتِها بحيث إنه إذا سُئل أجاب ولو إجمالًا ولو بالأجوبة المتعارفة حوزويًا، وإذا حضَّر أجاب بدقة ومهارة، وإذا دَرَّسَ دَرَّسَ بعلم وغزارة، لأن لديه مَلَكَاتها، ومتمكن من الحيثيات، ومتربع على المطالب والنكات، فليس من الصحيح أن يكون طالب العلم غير

متقنٍ لما دَرَسَ وغير حافظٍ للمطالب ولو إجمالاً، ولأنه لابد أن يكون قد دَرَسَ وتَعَلَّم وقضى شيئًا من عمره في طلب العلم، فمن الطبيعي أن تكون له محصلة في يده أو في صدره، سواء دَرَسَ في بلاد الغربة أو في بلده.

وليس من الصحيح أن يكون طالب العلم قد وصل إلى مرحلة البحث الخارج مثلاً ويُسأل في بعض دروس المقدمات فلا يَعرف أو لا يُتقن أو لا يجيب بالأجوبة المتعارفة، لِمَ؟ لأنه من باب أوْلَى أن يكون متقناً للدروس الأولية في الحوزة ولأبجدياتها، خصوصًا إذا كان لا زال يَدرس أو يُدَرِّس البحث الخارج؛ لأن الدليل العقلي لقانون أو برهان البَون يقضي ويقول: "إن الفاقد لأدنى درجات الدرجة الدنيا يستحيل عقلًا أن يكون واجدًا لأعلى درجات الدرجة العليا". والعكس كذلك، فإن برهان البَون نفسه يقضي ويقول: "إن الواجد لأعلى درجات الدرجة العليا يستحيل عقلًا أن يكون

فاقدًا لأدنى درجات الدرجة الدنيا" وقد فصلنا الكلام عن هذا في بحث (برهان البَون)[١].

وعلى أية حال فالمرجو والمطلوب من طالب العلم أن يكون حافظًا للمطالب العلمية فإن كان كذلك فهذا خيرٌ على خيرٍ ونورٌ على نورٍ، وإن لم يكن كذلك، فلا أقل أن يكون متقنًا لها؛ هذا هو العمود الأول وهو عمود العلم وما يخصه.

❖ العمود الثاني: عمود العمل:

أما ما يخص العمود الثاني، وهو عمود العمل؛ ونقصد به التقوى والأخلاق والسلوك العملي لطالب العلم، فليس من الصحيح بمكان أن يكون طالب العلم حاله كحال بعض عوام الناس. لماذا؟ لأنه قد دَرَسَ وتَعَلَّم ودَرَسَ الأخلاق وتعامل بل وعاش مع العلماء

(١) (برهان البَون) بحث مستقل مفصل كتُب من أجل إيضاح معالم طالب العلم والاجتهاد والمرجعية والأعلمية بكلام مبسوط.

الكبار الذين هذبوا نفوسَهم وحاسبوها وجاهدوها أيَما جهاد، فكثير من علمائنا الأجلاء الكبار قد وفقوا للتشرف بلقاء مولانا الإمام المَهدِيِّ عليه السلام وعَجَّلَ اللهُ تَعَالَى فَرَجَه الشَرِيْف وما ذلك إلا لجهادهم أنفسَهم. ويُقال إن السيّدَ أبا القاسم، علي بن موسى بن جعفر الطاووس، المعروف بالسيد ابن طاووس أو رضي الدين ابن طاووس، هو أكثر علماء زمن الغيبة الكبرى تشرفًا بلقاء الإمام المَهدِيِّ المنتظر عَجَّلَ اللهُ تَعَالَى فَرَجَه الشَرِيْف، ومن المعلوم والمشهور كتابه المسمى (محاسبة النفس)، وما ذلك التشرف وكثرته إلا من تطبيق ما في ذلك الكتاب عمليًا.

فطالب العلم لا يترك سجود الشكر بلا عذر، ولا يترك النوافل بلا عذر، ولا يصلي النوافل من جلوس بلا عذر، فإن ذلك ليس من شيمة الأزكياء، ولا من طبيعة الأتقياء، هذا أولًا، وثانيًا قد يكون ذلك خلاف الاستحباب؛ لأنه ترك لبعض آراء كبار فقهائنا كسيدنا سيد الفقهاء والمجتهدين وزعيم الحوزة العلمية آية الله

العظمى السيد أبو القاسم الخوئي رحمه الله تعالى ومولانا آية الله العظمى الشيخ الوحيد الخراساني دام ظله الشريف، حيث إنهم قد ذكروا: (يجوز الاتيان بالنوافل الرواتب وغيرها في حال الجلوس اختيارا ، لكن الأولى حينئذ عد كل ركعتين بركعة، وعليه فيكرر الوتر مرتين)(١)؛ وهكذا فليس لطالب العلم أن يترك تسبيح الزهراء عليها السلام من غير عذر ولا مبرر، ويكون وقاره الغالب عليه وصمته أكثر من كلامه، بل يكون صموتًا كما ورد في حديث العقل عن الإمام الكاظم عليه السلام: (يَا هِشَامُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم إِذَا رَأَيْتُمُ الْمُؤْمِنَ صَمُوتاً فَادْنُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ يُلْقِي (٢) الْحِكْمَةَ وَالْمُؤْمِنُ قَلِيلُ الْكَلَامِ كَثِيرُ الْعَمَلِ، وَالْمُنَافِقُ كَثِيرُ الْكَلَامِ قَلِيلُ الْعَمَلِ)(٣).

(١) منهاج الصالحين؛ العبادات؛ ج١؛ كتاب الصلاة أعداد الفرائض ونوافلها ومواقيتها؛ مسألة رقم ٤٩٩.

(٢) في بعض النسخ أو المصادر [يُلَقَّى] وفي بعضها [يُلَقَّن]

(٣) الكافي؛ الشيخ الكليني رحمه الله تعالى؛ ج٢ ص٢٢٤.

وطالب العلم لا يكون منكبًا على أجهزة التواصل الاجتماعي التي في عصرنا اليوم، ولا يكون مكثرًا ويكون رزينًا ثقيلًا هادئ البال، بعيدًا عن كثرة التورية بلا وجه، لا سيما إذا كانت التورية خفيفة وسريعة الانكشاف، فإن هذا مما يُسقط طالب العلم في أعين الناس، ويكون قليل النكت قليل الضحك، بعيداً كل البُعد عن المهازل ومهابط الأمور، وبعيداً عن الكلام الفاحش، وكثرة في الأمور الجنسية أو الكلام المقلوب، هذه هي صفات طالب العلم الحقيقي. وما ذكره أمير المؤمنين عليه السلام في صفات المتقين أشد وأشد، (١) فلا يترك صلاة الليل. ومن الحسن بمكان أن يكون أثر السجود في جبهته كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: (إِنِّي لَأَكْرَهُ لِلرَّجُلِ أَنْ تُرَى جَبْهَتُهُ جَلْحَاءَ؛ لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) (٢).

(١) بحار الأنوار؛ العلامة المجلسي رحمه الله تعالى؛ ج١ ص١٥٤.

(٢) بحار الأنوار؛ العلامة المجلسي رحمه الله تعالى؛ ج٦٨ ص٣٤٤.

ومن المهم أن يكون ذا تقوى ومُمَيَّزًا عن غيره من عوام الناس؛ لأنه إذا لم يُمَيِّزْهُ العلم ولم يميزه العمل فما الذي سيميزه؟ ولهذا ورد عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ: (قَالَ الْحَوَارِيُّونَ لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا رُوحَ اللَّهِ مَنْ نُجَالِسُ؟ قَالَ مَنْ يُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ رُؤْيَتُهُ وَيَزِيدُ فِي عِلْمِكُمْ مَنْطِقُهُ وَيُرَغِّبُكُمْ فِي الْآخِرَةِ عَمَلُهُ)(١)، فطالب العلم له ما ليس لسائر الناس من الاحترام والتقدير والتبجيل لما يحمل من علم وتقوى، وعليه ما ليس على سائر الناس من المسؤولية والمؤاخذة، وفي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: (إِنَّ الْحَسَنَ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ حَسَنٌ وَإِنَّهُ مِنْكَ أَحْسَنُ لِمَكانِكَ مِنَّا وَإِنَّ الْقَبِيحَ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ قَبِيحٌ وَإِنَّهُ مِنْكَ أَقْبَحُ)(٢)، هذا ما يخص العمود الثاني؛ وهو عمود العمل والتقوى.

(١) الكافي؛ الشيخ الكليني رحمه الله تعالى؛ ج٢ ص٢٢٤.

(٢) بحار الأنوار؛ العلامة المجلسي رحمه الله تعالى؛ ج٦٨ ص٣٤٩-٣٥٠.

❖ العمود الثالث: عمود العقل:

وأما العمود الثالث؛ وهو عمود العقل، وهو أهم الأعمدة وأشرفها وأسماها، وهو قائد العمودين السابقَين؛ عمود العلم وعمود العمل؛ لأنه هو المحرك والباعث للعلم والعمل، وهو الحجة لله تعالى على الإنسان، ولذلك ورد في حديث العقل عن الإمام الكاظم عليه السلام: (يَا هِشَامُ إِنَّ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجَّتَيْنِ حُجَّةً ظَاهِرَةً وَحُجَّةً بَاطِنَةً فَأَمَّا الظَّاهِرَةُ فَالرُّسُلُ وَ الْأَنْبِيَاءُ وَالْأَئِمَّةُ وَ أَمَّا الْبَاطِنَةُ فَالْعُقُولُ)(١)، وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ اَلسَّلاَمُ قَالَ: قُلْتُ لَهُ مَا اَلْعَقْلُ؟ قَالَ: (مَا عُبِدَ بِهِ اَلرَّحْمَنُ وَ اُكْتُسِبَ بِهِ اَلْجِنَانُ) قَالَ قُلْتُ: فَالَّذِي كَانَ فِي مُعَاوِيَةَ فَقَالَ: (تِلْكَ اَلنَّكْرَاءُ تِلْكَ اَلشَّيْطَنَةُ وَ هِيَ شَبِيهَةٌ بِالْعَقْلِ وَلَيْسَتْ بِالْعَقْلِ)(٢)، فعلى طالب العلم أن يكون ملتفتًا ومفرقًا بين الحركة العقلية والحركة الشيطانية ومفككًا للمغالطات، والعاقل

(١) بحار الأنوار؛ العلامة المجلسي رحمه الله تعالى؛ ج٧٥ ص٣٠٠.

(٢) الكافي؛ الشيخ الكليني رحمه الله تعالى؛ ج١ ص١١.

لابد أن يكون متحملًا لصعوبات الحياة وشدة البلاء والمحن؛ سواء في نفسه، أو مع أهله، أو مع الأعداء، أو مع الأصدقاء، فقد رُوي أَنَّهُ سُئِلَ أبو الحَسَن الرِّضَا عليه السلام: مَا الْعَقْلُ قَالَ: (التَّجَرُّعُ لِلْغُصَّةِ وَمُدَاهَنَةُ الْأَعْدَاءِ وَمُدَارَاةُ الْأَصْدِقَاء)[1]، والعقل ما اكتُسب به العلم، واستُعين به على العمل، وأُضيء به في الآفاق والأنفس. فطالب العلم لا يكون بسيطًا ولا ساذجًا ولا غبيًا ولا بليد الذهن، وكيف يكون كذلك وقد دَرَسَ العلوم العقلية؛ كعلم المنطق وعلم الأصول والحكمة والتي من شأنها أن تبعث في عقل طالب العلم وفي ذهنه الإشراق بالأنوار، والتفتق في الأفكار، والتطور الفكري والازدهار، في معرفة التعامل مع الأخبار، وتحليل المتشابكات، وتفكيك المغالطات، ولا يكون طالب العلم عاطفيًا متراخيًا في موضع الحزم والشدة، فمن تنازل عن عقيدته على حساب الوحدة

(١) بحار الأنوار؛ العلامة المجلسي رحمه الله تعالى؛ ج٧٢ ص٣٩٣.

الإسلامية مثلاً فليس بعاقل رغم أن الوحدة الإسلامية أمر مهم، ولكن العقيدة أهم. وبالنتيجة فإن العاقل هو المُمَيِّزُ بين المهم والأهم، ومن لم يكن كذلك فليس بطالب علم وليس بعاقل،

وطالب العلم لا يكون شديدًا قاسي القلب في موضع الرفق والعطف والرحمة، فهو الشديد في موضع الشدة، والعطوف في موضع العطف، والعاقل هو المتزن في الأحكام وفي التعامل مع النعم والبلاءات، كما ورد في حديث العقل: (يَا هِشَامُ إِنَّ الْعَاقِلَ الَّذِي لَا يَشْغَلُ الْحَلَالُ شُكْرَهُ، وَ لَا يَغْلِبُ الْحَرَامُ صَبْرَهُ)(١)، وطالب العلم له القدرة على الوصول إلى مرتبة تعقل الأمثال في القرآن الكريم كما في الحديث أيضًا: (يَا هِشَامُ ثُمَّ بَيَّنَ أَنَّ الْعَقْلَ مَعَ الْعِلْمِ، فَقَالَ وَتِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ وَما يَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُونَ)(٢).

(١) بحار الأنوار؛ العلامة المجلسي رحمه الله تعالى؛ ج٧٥ ص٣٠٠.

(٢) بحار الأنوار؛ العلامة المجلسي رحمه الله تعالى؛ ج٧٥ ص٣٩٨.

وفي هذا النص المتضمن للآية الشريفة ترابط واضح بين العمودين الأول والثالث؛ عمود العلم وعمود العقل، وقال عليه السلام كذلك في نفس الحديث: (يَا هِشَامُ لِكُلِّ شَيْءٍ دَلِيلٌ وَ دَلِيلُ الْعَاقِلِ التَّفَكُّرُ، وَدَلِيلُ التَّفَكُّرِ الصَّمْتُ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ مَطِيَّةٌ، وَمَطِيَّةُ الْعَاقِلِ التَّوَاضُعُ، وَكَفَى بِكَ جَهْلًا أَنْ تَرْكَبَ مَا نُهِيتَ عَنْهُ)(١)، وكما فيه أيضاً: (يَا هِشَامُ إِنَّ ضَوْءَ الْجَسَدِ فِي عَيْنِهِ، فَإِنْ كَانَ الْبَصَرُ مُضِيئًا اسْتَضَاءَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَ إِنَّ ضَوْءَ الرُّوحِ الْعَقْلُ، فَإِذَا كَانَ الْعَبْدُ عَاقِلًا كَانَ عَالِمًا بِرَبِّهِ، وَ إِذَا كَانَ عَالِماً بِرَبِّهِ أَبْصَرَ دِينَهُ)(٢)، وفي هذا النص الترابط أوضح، بحيث إنه ظهر لنا كيف أن الإمام عليه السلام كشف لنا أن العقل علة للعلم ،والعلم علة للبصيرة، فلابد أن يكون طالب العلم بصيرًا في دينه؛ لأنها الغاية من طلب العلم؛ فلأجل تبصرة نفسه أولًا وتبصرة غيره ثانيًا، وكما قال

(١) بحار الأنوار؛ العلامة المجلسي رحمه الله تعالى؛ ج٧٥ ص٣٠٠.

(٢) بحار الأنوار؛ العلامة المجلسي رحمه الله تعالى؛ ج٧٥ ص٣١٢.

تعالى: ﴿وَما كانَ المُؤمِنونَ لِيَنفِروا كافَّةً فَلَولا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرقَةٍ مِنهُم طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهوا فِي الدّينِ وَلِيُنذِروا قَومَهُم إِذا رَجَعوا إِلَيهِم لَعَلَّهُم يَحذَرونَ﴾(١)، والمفروض أن طالب العلم أقوى الناس عقلاً في [الاستفادة من التجارب الماضية لا سيما بالعِبرة المتكررة، والتي هي في أهل الضلالة متكثرة](٢)، كما قال تعالى ﴿وَلَقَد أَضَلَّ مِنكُم جِبِلًّا كَثيرًا أَفَلَم تَكونوا تَعقِلونَ﴾(٣)، ولولم يكن إلا من إشراق العلوم العقلية في العقل إلا الالتفات لكفى، لأن الالتفات بما هو التفات كافٍ في النجاة من الشتات، ولولا ذلك لما فات ما فات.

هذا تمام الكلام في الأعمدة الثلاثة لقِوام طالب العلم الحقيقي، وبقي هنا شيء لابد من الإلفات إليه والإشارة له.

---

(١) سورة التوبة آية ١٢٢.

(٢) أحد تعاريف العقل التي استفدناها من الآية الشريفة في القرآن الكريم من سورة يس.

(٣) سورة يس آية ٦٢.

❖ إلفات وإشارة:

١- إن هذه الأعمدة الثلاثة لابد من توفرها جميعًا ضرورةً في طالب العلم، وإن نقصان أي عمود منها يشكل اختلالاً حقيقيًا في طالب العلم، وبغيرها لا يمكن أن يسمى طالب علم حقيقيًا.

٢- إنه لم يكمل في العوالم كلها إلا محمد وآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين ومن أكملهم الله تعالى بواسطتهم كالرسل والأنبياء والأوصياء والأولياء ممن خرج النص على كمالهم وعلو شأنهم ومنزلتهم كسيدنا ومولانا أبي الفضل العباس وسيدنا ومولانا علي الأكبر وسيدتنا ومولاتنا زينب عليهم السلام وغيرهم. وأما طلبة العلوم الدينية فهم يتفاوتون في الدرجات في هذه الأعمدة الثلاثة، فلا نريد القول إن كل من كان طالب علم يجب أن يكون كاملاً في كل عمود من هذه الأعمدة الثلاثة، كلا؛ إذن ما الفرق بينه وبين المعصوم؟! ليس هذا هو المراد؛ بل المراد والقصد أن يكون بحد معقول وبسقف

مقبول في هذه الأعمدة الثلاثة، فلا يكون بسيطًا في العلم، ولا يكون كأي أحد من الناس في العمل والتقوى، ولا يكون ساذجًا في التفكير كأي أحد من البشر، ولكن بشكل عام يجب أن يكون لكل طالب علم حظ معتد به من هذه الأعمدة الثلاثة وإلا فلا يسمى طالب علم حقيقة.

٣- بعض مراتب العلم والعمل والعقل لا يكون إلا لبعض العلماء كتعقل الأمثال في القرآن الكريم.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

فُرغ من تقريره ليلة الخميس ليلة ميلاد النبي الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله على رأي آية الله العظمى الشيخ محمد بن يعقوب الكليني رحمه الله تعالى

١٢ ربيع الأول ١٤٤٥هـ

عبدالله محمد الموسى